



حملوا ماحف وزنه وبعض أوراقهم وتوجهوا إلى كرافان ركن على مساحة ضيقة من الأمتار. عملية انتظار اللاجئين السوريين تستغرق من ست إلى تسع ساعات، والأمل لا يفارقهم بأن يفتح عنصر الأمن باب الكرافان لمناداتهم، من أجل التوقيع على الطلبات التي قدموها بهدف القذف الجماعي إلى الحدود السورية.

هذه العملية التي يطلقون عليها تسمية (القذف) وبحسب مصادر أمنية في مخيم الزعتري، وافقت عليها السلطات الأردنية أول مرة عندما اجتاحت عاصفة رملية خيام اللاجئين السوريين وتسببت بوفاة عدد من الأطفال، فدبّت آنذاك أعمال الشغب بين قاطني الخيام حيث بدأوا باقتلاع بعضها وأضرموا النيران ببعضها الآخر وضربوا العناصر الأمنية، مطالبين بالعودة إلى ديارهم، وبعدما أصبحت عملية القذف أو العودة إلى سوريا أمراً ليس بالمستحيل، توجهنا إلى المساحة المذكورة والتقيينا بعائلات إن صح التعبير «على طريق العودة».

أسبابهم تعددت، لكن دموع النساء بددت خوف البعض من موافقة السلطات الأردنية التي تتم على طلبات عودتهم «على مسؤولياتهم»، فكانت النساء تتلفت بالمتجمهرين يميناً وشمالاً وتؤكّد: «سأعود على مسؤوليتي، سأعود غير آبهة بما سأواجهه، سأعود لأحمل أطراف ولدي التي قطعها الظالم، قطعوا له ساقيه وتركوه مرمياً على الأرض، سأعود لأكون عاكزة». إصرار النساء على العودة لمواجهة مصيرها ومصير ابنها بدد بدوره رهبة المنتظرين من الحديث إلينا، فالتفوا حولنا بكل جرأة يشرح كل منهم أسباب قراره بالعودة.

عمار قال لـ«عكاظ»: «أنا من الجيش الحر، دخلت مع زوجتي وأبنائي والدتي إلى المخيم كأي مواطن سوري لاجئ، وبعدها أمنت خيمة لعائلتي وأوصيت بعض الجيران والأقارب عليهم، تقدمت بطلب العودة إلى سوريا، فأنا لم آت إلى هنا

هربا من بشار وشبيحته، نحن لا نخشاها، ولكن نخشى على أعراضنا. لن أعود إلى عائلتي قبل أن يرحل آخر عنصر غاصب لأرضي، الجيش الحر يحتاجنا جميعا، فهو يقوى بسواترنا نحن السوريون الغيورون على سوريا وعلى كرامتها». يقاطعه شاب عشريني: «وأنا حين أعود سأنضم إلى الجيش الحر»، فيتابع عمار مبتسما: «أشعر حقا بالفخر بهؤلاء الشباب مع العلم أننا نخشى عليهم من الطاغية الذي يقتل ويعتقل ويعذب خيرة شبابنا الذي يدفع ثمن حلمه بالأمن والكرامة والحرية».

بين واجب «عمار» ولهمة «سناء»، لم تصبر «زهراء» أن تلتفت صوبها ونسألها، فتدافعت مع بعض الملتفين حولنا، وحين فتحوا لها مجالا بالاقتراب منا سألناها عن سبب عودتها، ودون أن تمنح نفسها حق التنفس للإجابة قالت بعصبية: «أفضل الموت على البقاء في هذا السجن، هذا ليس مخيما، الخروج منه ممنوع، والزيارة مسموحة يوما واحدا في الأسبوع، أليست هذه الإجراءات تتخذ في السجون؟

ولو كنت أعيش في السجن لكنت شعرت بالدفء أكثر. أنا وأولادي نشعر بالبرد ينخر عظامنا، الحياة هنا لا تقل سوءا عما يجري في سوريا، إلا أن الفارق واحد، في سوريا الموت أسرع. يصعب علينا أن نجلس متظرين الموت، أريد أن أموت على باب منزلي، أو تحت رقامه لا فرق عندي ولكن لن أموت هنا».

شاب في العقد الثالث من العمر يدعى حسن كان سبب عودته مفاجئا للنسوة الغاضبات فقال لنا: «سأنتقل إلى درعا لأحضر بعض الأدوات الكهربائية لبعض سكان المخيم، لقد بدأت منذ سبعة أشهر تقريبا ببيع بعض الأدوات الكهربائية البسيطة، والحمد لله، أجدها عملية نافعة حاليا، فكما يستفيد بعض اللاجئين أنا مستفيد أيضا من ثمنها، أؤمن به الطعام بشكل يومي لوالدي وأخواتي».

يُقذفهم النظام لخارج قراهم بعيدا عن منازلهم وأرزاهم، يُقذفهم بالطائرات وبراميلها، بالمدافع وقدائفها، بالمجازر وسكاكينها، وهو اللجوء يُقذفهم أيضاً بآلامه وعذاباته، بقهره وذله، إنه الشعب السوري الذي يقتات حزناً ويشرب قهراً.

المصادر: